حينذاك بدأت أصوات أدبية تسأل عن حتمية هذه الحرب، وجدواها، وكذلك عن مدى استمرارية الواقع الاسرائيلي وتطوراته المرتهنة باستمرار التعلّق بالحرب. وتواصل اليقظة الدائمة، واستمرار العداء الدائم للفلسطينيين والعرب عموماً. فكان تفجر الازمات الداخلية العميقة داخل النفسية الاسرائيلية متطابقاً مع الازمات في الفضاء الادبي، لأن المجتمع الاسرائيلي، ابان الاجتياح، دفع ثمناً حقيقياً بسقوط عدد كبير من ابنائه.

ونلمس مثل هذا التطابق في تفجّر الازمات، في التأثيرات التي أحدثتها الانتفاضة الشعبية في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، حيث عمقت الانتفاضة، منذ اندلاعها، الشعور لدى الاسرائيلي بضرورة البحث عن خلاص؛ وكشفت نوايا الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة، ورفضها للسلام؛ ولايجاد تسوية حقيقية للمشكلة الفلسطينية. فاصطدم الادب الاسرائيلي بأزماته القديمة ـ الجديدة المتعلقة بالهوية والعلاقة مع الآخر، لأن «خزان الانصهار» الذي سعى الى تلفيق هوية جديدة مصطنعة في هويات متناقضة، متغايرة لم يفلح في خلق «اليهودي الجديد»، بل على العكس من ذلك، اصطدمت محاولته هذه بهوية «يهودي الغيتو»، فلا «مرح باريس وفينا» و«كفاءة لندن» ولا «عظمة برلين العسكرية» استطاعت ان تبني «اليهودي الجديد» وذلك لسبب بسيط هو ان ميدان الواقع عكس الاكذوبة الصهيونية التاريخية في ان «الارض بلا شعب».

ومع تواصل الانتفاضة، تعمّقت حركة الاحتجاج ووسعت من طروحاتها الادبية والسياسية، ونوّعتها، ونادت بوجوب الدخول في محادثات سلام حقيقية مع الفلسطينيين. ذلك لأن الانعكاسات التي احدثتها الانتفاضة على المجتمع الاسرائيلي قرّبت الصورة اكثر وعمّقت تركيز النظر اليها. فهي أكدت استحالة استمرار حالة اللاحرب واللاسلم. ولأول مرة شعر الاسرائيلي العادي بأن حرباً من نوع آخر قد بدأت ضده، جاءته من الداخل هذه المرة، ممّا ضاعف من شعوره بحجم الخطر الداهم. ووجد نفسه وجهاً لوجه قبالة حالة جديدة من الصراع الدامي والمتواصل، وبدأ يدفع هو ثمن ما قامت به المؤسسة العسكرية من أعمال وممارسات قمعية ضد الفلسطينيين، ووضعته في مواجهة مكشوفة مع معاناة الآخر الفلسطيني التي طالما تهرب من مواجهتها.

أدّت هذه التطوّرات الى اهتزاز بعض قناعات الاسرائيليين بالشعارات القديمة، وتراجع الحلم بتواصل الاحتلال الى الأبد، أو ضمّ الاراضي الفلسطينية الى اسرائيل. فظهرت أصوات أدبية عكست صحوة مفاجئة على حقيقة الاحتلال الاسرائيلي لـ «الغوييم» الفلسطيني الذي كان يحيي في داخل الاسرائيلي الصورة المشرقة و«العظيمة» للصهيوني «المتميز»، المتفوق، المليء، بنشوة الانتصار. كما انعكس من خلال الادبيات العبرية على امتداد قرن من الزمان. فقد أدّى تراكم الاحداث والصدامات اليومية التي أخذت تضرب في عمق تلك النزعة الى اسقاط هامشية الشك وأوقع المهاجِم في شباك المهاجَم.

وبفعل الانتفاضة وبتأثيرها، أيضاً، أخذت بعض الاتجاهات الادبية تتلمّس حقائق الصراع، بشيء من الاضطراب، وبدأ الوعي الشقي المكبوت، اعلان الحقيقة الواقعية بأساليب مختلفة، ذلك لأن الانتفاضة اختصرت الصراع بمختلف اتجاهاته، وطرحت على الفكر الاسرائيلي تحديات الاستجابة والتفسير السليم، فتداعت تصريحات وكتابات الشعراء والادباء الاسرائيليين، لتعكس حالاً من محاكمة الذات الشقية التي لا مفر لها من رؤية الواقع المتفجر، المرتبط بالمصير، وتلمس الطريق الصحيح حيث برز السؤال الاصعب: الى متى يستمر الاحتلال؟